المشرق

دار العاديّات المصرية الجديدة

لجناب الاديب توفيق افندي فرح

احتفلت الحكومة المصريّة احتفالًا رسميًا في ١٥ نوفمبر الماضي تحت رعاية الحضرة الفخيمة الخديويّة بافتتاح دار العاديّات المصريّة الجديدة فرأينا بهذه النسبة ان نأتي على نبذة من تاريخ انشاء هذا المتحف مع ذكر التقلُّبات التي طرأت عليهِ الى الآن وان نذكر شيئًا من اخبار منشئه لانَّ المتحف ملازم لمشيّدهِ ملازمة الفرع لاصلهِ ويروق القارئ ان يطلع على ترجمة رجل ترك لمصر ذكرًا يصحُّ اعتبارهُ اعظم من الآثار المصريّة نفسها لانهُ جمعها واودع تلك الكنوز التي لا تقدَّر لها قيمة في مكان يليق بها فسهّل للزائرين معرفتها فاخذوا يتقاطرون لمشاهدتها ويزدادون عددًا سنةً بعد أُخرى ولم يكن هذا الامر بالعامل اليسير في تقدُّم مصر وغناها

كثر المؤرخون السيّاح الذين كتبوا عن مصر وعن المباني الشاهقة التي تركها المصريُّون شاهدًا على عظمتهم وعن باقي الآثار كالتماثيل والآنية المختلفة الاجناس والاشكال وقراطيس البُرْدي والنقوش وغيرها ممَّا سُطِّر عليهِ تاريخهم وبيان احوالهم واسماء ملوكهم بدقَّة صناعةٍ بالغة في الاتقان يعجز عن الاتيان بمثلها صَنَعَة زماننا ولكنهُ لم يتمكن احد من هؤلاء المؤرخين ان يدرك ما انطوى تحت هذه الرسوم من المعاني فقصرت كتاباتهم على وصف بدائع مصر وظواهر ما وُجد فيها من الآثار القديمة وليس القصد ان نسرد هنا اسماء هؤلاء المؤلفين منذ عهد كتّاب اليونان واولهم

هيرودوتس ثم اسطرابون ثمَّ ديودورس الصقلي وغيرهم الى زمن العلماء الذين رافقوا الجنرال بونابرت في غزوته المشهورة والذين دوَّنوا ما أطلعوا عليه من احوال مصر على اختلاف انواعها في كتب ورسوم لا تزال الى الآن مستنداً يُرجع اليه في كثير من الامور

ولمَّا اكتشف شمپوليون اسرار الكتابة المقدَّسة المصريَّة وتوصَّل الى حلّ رموزها رفع النقاب الذي طالما حجب مصر واحوال اهلها في الأيام السالفة عن عين الناقد فاتجهت نحوها الابصار واشرأبَّت اليها الاعناق وكانت شدَّة رغبة العلماء في استطلاع الخفايا المصريَّة متعاظمة تعاظُمَ الزمن المديد الذي مضى عليها محتجبة فيه عنهم فزال بذلك الاكتشاف ذهول الباحثين لدى روءية تلك الآثار الجليلة وما سُطر عليها من النقوش التي كان يصحّ ان يقال عنها انَّها رموز خفيَّة ولم يبقَ هناك مانع من قراءتها وفهم معانيها. ولمَّا تمَّ الاكتشاف وانتشرت المؤلفات في علم الآثار المصريَّة قدم مصر مندوبو جمعيَّات علميَّة في اوربَّة فقلبوا الارض ظهراً لبطن ليستطلعوا الكنوز الاثريَّة التي ردمتها الرمال بعد ان اودعها المصريُّون في بطون الارض حرصاً عليها وخوفاً من ايدي المتهكّين لحرمتها (١ ففتحوا المقابر ليأخذوا منها نواويس الملوك والامراء ودخلوا المعابد لينتزعوا تماثيل الالهة عن عروشها فكان ما اخذوا من مصر كافياً لانشاء متحف عاديات مصريَّة في كل عاصمة من عواصم اوربَّة ومع ذلك فلم يكن لمصر محلّ تُجمع فيه ما كان يستخرج من ارضها من التُّحف الاثريَّة ولم نذكر مع الذي اندثر منها ما هدمهُ الفاتحون الذين تولوا الحكم في مصر وما حطمتهُ ايدي الجهَّال وما سرقتهُ التجَّار لبيعه في الاسواق فكانت الآثار والحالة هذه عرضةً للسارقين وغنيمةً لمن طمع في كسب الاموال ولو لم توفق ظروف الحال الى تخصيص بناء تجمع فيه شوارد هذه الكنوز لذهبت ادراج الرياح وحُرمت مصر الفوائد العلميَّة والماديَّة الجمَّة التي تستمطر سحائبها الآن. فساق الحظّ لنوال تلك البغية عالماً فرنساويّاً كان قد اشتهر بشدة الرغبة

١) كان جلّ ما يهتمّ لهُ المصريُّون ان يبنوا لهم قبوراً هي اولى بان تسمى قلاعاً منيعة ليحفظوا بها جثثهم بعد تحنيطها صيانة لها من الفساد وكانوا يسمُّون القبر «المنزل» او «المقر الحسن» وقلما كانوا يهتمون في تشييد منازل يسكنون فيها وهم احياء ولذا فانك ترى اكثر الآثار التي عدَّها المؤرخون من عجائب الكون قبوراً كانوا يصرفونَ في تشييدها كل ما عزَّ لديهم فكأنهم لم يحيوا الّا للموت او بالحري لما بعد الموت كما بيَّن ذلك الاب مالون في مقالتهِ عن مدافن سقّارة (ص ٢٥١)

في اقتناص العلوم الاثريّة المصريّة ونشر المؤلفات فيها لاسيما فيما يتعلّق بالآثار القبطيّة نعني به اغسطس فرديناد ماريت (Mariette) المولود في بولوني (Boulogne) من اعمال فرنسة الشمالية في ١١ فبراير سنة ١٨٢١ وانهُ لا يهمّنا من تاريخه هنا الّا ما كان مختصًّا بانشاء المتحف المصري ولهذا نصرف النظر عن نشأته وما كان من امره قبل قدومه مصر واكثر ما نكتبهُ عنهُ مقتطف من الدليل الى متحف الجيزة تأليف دي مورغان الفرنسوي ومن كتاب النيل تأليف «وَلِيس بدج الانكليزي» وغيرها

وصل ماريت الى الاسكندريّة في شهر اكتوبر سنة ١٨٥٠ وكان قد جاء من قبل الحكومة الفرنساويّة لدرس النسخ القبطيّة ومشترى ما يمكنهُ الحصول عليهِ منها فلم يتيسَّر لهُ ذلك لانّ بطريرك الاقباط كان قد اخفى كلّ ما لديهِ من هذه النسخ وامر رؤساء الاديرة ان يضنّوا بها على كل طالب (١). وفي اثناء المخابرات الطويلة التي حصلت في هذا الشان كان ماريت يتنقَّل في ضواحي القاهرة لاستطلاع الآثار فزار اهرام الجيزة وسقَّارة ودهشور وغيرها فساعدهُ الطالع بان اكتشف السرابيوم المشهور وهو قبر العجول المساة باسم ابيس. وكيفيّة ذلك انهُ كان ذات يوم في سقارة فعثر على ابي هول كان وجد كثيرًا مثلهُ في القاهرة وفي الاسكندريّة وهو من الحجر الجيري وعليهِ نقوش ترى فيها اسم المعبود اوزيريس وبجانبه اسم الثور ابيس واسم سرابيس فتذكَّر قول اسطرابون ان السرابيوم واقع في ارض رملية حيث يوجد تماثيل عديدة لابي الهول كثيرة بعضها ظاهر فوق سطح الارض وبعضها مغطى بالرمال كله او جزء منهُ فانساه هذا الاكتشافُ البطريركَ القبطي والمهمّة التي جاء لاجلها من باريس فجمع العمَّال وشرع في الحفر في شهر نوفمبر سنة ١٨٥٠ وما زال يكتشف تماثيل ابي الهول الواحد بعد الآخر مجتهدًا في تمهيد العقبات التي اقامها في وجهه تجار الآثار ووكلاء الدول فاستنفدت منهُ وقتًا طويلًا وعناء جزيلًا مستعينًا لذلك بنفوذ الحكومة الفرنساويّة الى ان وصل الى باب السرابيوم في ليلة ١٣ نوفمبر سنة ١٨٥٢ اي بعد ابتداء العمل بسنتين. ثم انتقل الى اهرام الجيزة وباشر العمل هناك على نفقة دوك دي لوين (duc de Luynes) ثم شرع في التأليف وعاد الى باريس نظرًا لما لقيهُ من الصعوبات

---

١) ذلك ما رآهُ البطريرك المذكور وَجدًا منهُ على ناتام العالم الانكليزي لسلبهِ الكتب القبطيّة من يد المصريين واستماله الطرق النير مألوفة لذلك

وفي سنة ١٨٥٨ رجع الى مصر وتقرَّب الى سعيد باشا واليها فأحبهُ واعانهُ على اعمال الحفائر في اكثر انحاء القطر ثم اذن لهُ بتأسيس متحف للعاديات المصريَّة فجمع ما كان لقيه من الآثار ولمَّا لم تتقرَّر الحكومة على انشاء بناء يليق بهما لم يرَ بدًّا من الاكتفاء بحفظها في بولاق على ضفَّة النيل اليمنى في منزل البوسطة القديم فسُمّي المتحف متحف بولاق وهو يعرف بهذا الاسم الى الآن عند كثير من الناس. ولا نعلم ما الذي حمل ماريت على ان يقيّد نفسهُ بصيانة الآثار المصريَّة والحرص عليها بعد ان ارسل منها الى بلاده عددًا وافرًا فان جميع الانصاب (stèles) اي صفائح المقابر المنقوشة التي وجدها في جدران السرابيوم ويبلغ عددها الالف او اكثر وباقي الجواهر والتماثيل والنواويس وقراطيس البردي وغيرها التي استخرجها من حفائره العديدة تزين الآن قاعات متحف اللوفر بباريس ومكتبته

ولمَّا كثرت اكتشافات ماريت وتراكم ما حصل عليهِ من الكنوز ضاقت المحلات بمتحف بولاق فكنت ترى الموميات الثمينة والاحجار المنقوشة وقفف الخنافس وغيرها مزدحمة بعضها فوق بعض كانها صناديق واكياس بقالة في مخزن عطَّار. ثمَّ انَّ مياه النيل كانت تتهدَّد البناء كلَّ سنة أيام الفيضان وقد اوشكت فعلًا في احدى السنين ان تبتلعهُ بجميع ما فيهِ من التحف وكان بجواره مخازن كبيرة مملوءة بادوات البناء من خشب وجير ومركَّبات كيموية يتصاعد منها الدخان فكانت تنذرهُ بالحريق من جهة اليمين والنيل يشير بالخطر من جهة الشمال. وزد على ذلك ان المحل لم يكن ليفي بالغرض المقصود بهِ من حيث ترتيب الآثار على حسب ازمانها ومحلات وجودها وتقريب الفائدة المطلوبة منها للعالم والمتفرج كل بحسب مرغوبهِ. ومع هذا فليس لنا ان نكثر الشكوى من متحف بولاق فانهُ اصل المتحف الحالي الذي تفتخر بهِ مصر وكان قد وضع لهُ العالم الاثري ماسپرو دليلًا سهَّل معرفة ما فيهِ على الزائر

ولمَّا زادت الاكتشافات في أيام ادارة ماسپرو لم يعد في الامكان ان تبقى العاديات في بولاق فكثر الالحاح على الحكومة بتلافاة الامر ومع ذلك فلم يقرَّ الرأي على نقلها الَّا في سنة ١٨٨٩ (بعد استقالة ماسپرو من ادارة المتحف بثلاث سنوات) (١وكان

١) امَّا ماريت فانهُ بعد انشاء المتحف باشر الحفر في جميع انحاء القطر وألف كتبًا عديدة لا يسع المقام بذكرها ثم تعين مندوبًا للحكومة المصريَّة في معرض باريس العمومي سنة ١٨٦٧

ذلك في نظارة المسيو غريبو وكأنَّ الحكومة لم تشأ ان يكون الانتقال سريعاً الى درجة الكمال فأبت انشاء قصر جديد تحفظ فيه الآثار وعيَّنت السراية التي كان شيدها الخديوي اسماعيل باشا داراً للتحف الاثريَّة ومع انَّها لم تُبنَ لهذا الغرض فقد كانت قاعاتها فسيحة كثيرة العدد وموقعها بعيداً عن النيل وخطر طغيانهِ وقد اتخذت الاحتياطات اللازمة لصيانتها من الحريق وكان الاحتفال بافتتاحها رسمياً في ١٢ يناير سنة ١٨٩٠ بحضور الخديوي الاسبق محمد توفيق باشا ولم يتمكن المسيو غريبو ان يعرض للزائرين سوى خمس واربعين قاعة ولو لم يدركهُ المرض ويجهد بهِ التعب لما توقف عن العمل فسلم ادارة الاشغال الى المسيو دي مورغان وكانت المخازن غاصَّة بالعاديات وقاعات كثيرة لم يتم ترتيبها فشمَّر المسيو دي مورغان عن ساعد الجدّ فملأ ستاً واربعين قاعة بسرعة عجيبة. وفي خريف سنة ١٨٩٢ كانت سراية الجيزة تحتوي على احدى وتسعين قاعة فسيحة او رواق عُرضت فيها آثار اقدم الامم واعظمها علماً وفخراً

ولم تكن سراية الجيزة آخر مقرّ الآثار فانها مع كثرة اروقتها لم يكن وضعها مناسباً لحفظ التحف الاثريَّة على نسق علمي كما ذكرنا وكان جزء كبير من البناء ينذر بالخراب ولم تزل الفكرة متجهة الى انشاء دار مخصوصة يكون وضعها موافقاً لما سيكون فيها حتى اقرَّت الحكومة على طلب المال من صندوق الدين فنشرت الاعلانات في جميع انحاء اوربة ودعت اشهر المهندسين الى وضع رسم لمتحف مصري يشيَّد في القاهرة وعيَّنت لهُ محلاً شمالي قصر النيل وعلى ضفة النيل اليمنى فعُرضت عليها رسوم كثيرة صرف المهندسون كل ما في وسعهم لاتقانها فانتخبت رسماً لمهندس فرنساوي اسمهُ دورنيون

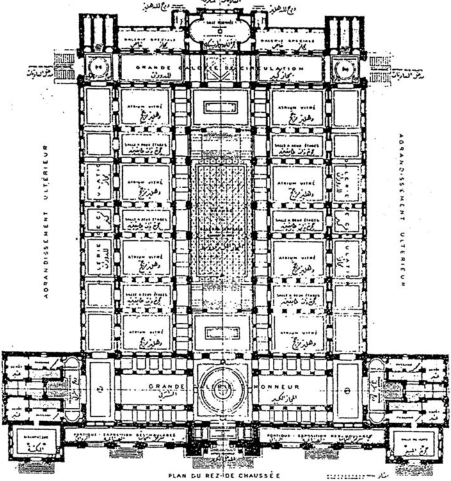
فنقل اليها التحف المصريَّة فكانت اجمل زهرة في روض المرض واظهرت لشعوب اوربة ما احتوت عليهِ مصر من الآثار الدالَّة على فخرها القديم وحسن صناعاتها وفنونها وكثرة علومها. وكانت وفاته في شهر يناير سنة ١٨٨١ وخلفهُ الاستاذ ماسپرو اماً جثته ففي محفوظة الآن في تابوت من الرخام الرمادي وفي اربع زوايا التابوت اربعة تماثيل لابي الهول تحرسهُ والتابوت من العاديات المصريَّة تبعها في رحلاتها وتنقلاتها. فبعد ان كان في بولاق نُقل الى الجيزة حيث عيَّن لهُ الخديوي الاسبق محمد باشا توفيق محلاً امام مدخل السراية الرسمي وقد تحول الان الى الدار الجديدة بمصر وهو قائم في زاوية البناء القبلية الغربية. وقد اقرت الحكومة المصريَّة على انشاء تمثال لماريت يبلغ ثمنهُ نحو الف جنيه مصري وعهدت بصنعه الى المسيو بويش (Puech) في باريس وسيتم تسليمه في اواخر سنة ١٩٠٣

CONSTRUCTION

DU MUSÉE DES ANTIQUITÉS EGYPTIENNES

متحف في القاهرة AU CAIRE

الآثار المصرية



PLAN DU REZ-DE CHAUSSÉE

رسم الطابق الاسفل

(Dournion) واحتُفل بوضع اول حجر لاساس الدار الجديدة في غرّة ابريل سنة ١٨٩٧ واستلمت مصلحة الآثار البناء نهائيًا بعد اتمامه في اوائل السنة الحاضرة ثم شرعت في نقل التحف وتمَّ العمل بسرعة ودقة عجيبتين اذ لم يستغرق سوى اربعة او خمسة شهور

ويطول بنا الكلام اذا اردنا وصف ما في هذه الاروقة والقاعات من التحف الاثريّة المشحونة بالفوائد العلميّة والتاريخيّة والفنيّة فهي تحتوي بلا شك على اعظم مجموع للآثار المصريّة من اقدم تاريخها الى الازمان القبطيّة والعالم يقرأ على احجارها وصحفها وتماثيلها ما دوّنهُ الكتاب عن التمدّن المصري على اختلاف انواعه وازمانه وقد اكتفينا هنا برسم الطابق الاسفل لهذه الدار الفخمة ليطّلع القرّاء ولو عن بعد على ترتيب المتحف الداخلي ولعلّ ذلك يكون تمهيدًا لمقالات تفصيليّة ننشرها في المستقبل اذا تمكنّا من ذلك

امّا البناء نفسه فهو على شكل مستطيلَين قائم الواحد منهما على الآخر وطول الواجهة الكبرى ١٣٠ مترًا وطول الدار من وسط الباب الكبير القبلي الى الطرف الآخر الشمالي ١٣٠ مترًا ايضًا وسيتمّ البناء اذا اقتضت الحال في المستقبل فيصير مربّعًا كاملًا تكسيره ١٣٠ مترًا مربّعًا

وقد نُقش على واجهة المتحف الكبيرة في اعلى الباب المتوسط وهو باب دخول المتفرجين كتابة باللاتينيّة هذا نصّها:

MONUMENTA PRIORIS ÆVI HIS SEDIBUS COLLOCAVIT
ANNO DOMINI MCM-ABBAS HILMI PRINCEPS
ANNO HEGIRÆ MCCCXVII

اي « انّ في سنة ١٩٠٠ للمسيح وسنة ١٣١٧ للهجرة قد وضع الامير عبّاس حلمي في هذه الدار آثار الازمنة الغابرة » وكُتبت باللاتينيّة ايضًا اسماء الذين حكموا مصر من ملوك الأُسر الثنيّة (dynastie Thinite) فالمنفيّة (Memphite) فالطيبية (Thébaine) فالصاحجرية (Sahirite) الى الاسكندريّة وكتب ايضًا اسماء من اشتهر من العلماء في مؤلفاته واكتشافاته الاثريّة المصريّة من هيرودوتس وغيره من القدماء الى علماء هذا القرن

امّا ترتيب التحف في الدار الجديدة فلا يصح اعتباره ترتيبًا نهائيًا لان مصلحة

الآثار تبعت فيه ترتيب سراية الجيزة وهذا لم يكن محكماً في بابه ولذا فانك ترى في بعض القاعات من التحف ما تضيق به بينما تجد البعض الآخر يكاد يكون فارغاً وفضلاً عن ذلك فان كثيراً منها موضوع في غير محله فالدار الجديدة لا يصح ان تعتبر والحالة هذه كما قالهُ حضرة مديرها المسيو ماسبرو سوى مخزن للآثار ولكنها ستتحوَّل بهمته الى متحف يسبق متاحف اوربَّة في حسن التنسيق وقد وضع المدير المذكور دليلاً للمتحف ولم يطبع منهُ الَّا نسخ قلائل وسيتم طبعه عن قريب ان شاء الله . وقد صرفت الحكومة المصريَّة في بناء الدار الجديدة وملحقاتها ونقل الآثار اليها نحو ربع مليون جنيه مصري نرجو ان تستعيضها اضعافاً والله يهدي الجميع الى سواء السبيل

الجولان في النوم

لجناب الدكتور الفاضل نابليون ماريني البندادي

يظن اليوم طائفة من الناس الاغرار ان الجولان في النوم لهو فصل من كتاب الخزعبلات يقصُّهُ الوالد على اولاده من باب الفكاهة . او يصنعهُ اهل الصحف سدًّا لما يعوزهم من الاخبار

(أقول) الجولان في النوم مرض قائم بذاتهِ لهُ اسباب ولهُ اعراض ولهُ علاج وبيان ذلك جُلّ غايتي من هذه العُجالة

لما كنتُ في مستشفى الآباء الكرمليين الحفاة ببغداد كان في بيتي خادم اسمهُ جَجُو (جرجس) من قرية تلكيف وهي تبعد ستّ ساعات عن الموصل وكان نحيف الجسم ذا قريحةٍ وقَّادة اسمر اللون قصير القامة . اذا تكلَّم سبق لسانهُ حركاتٌ في كل اعضائهِ الخارجيَّة . وهاك ما رأتهُ عيني وسمعتهُ أُذني عن المرض الذي كان مبتلًى بهِ وهو الجولان في النوم

ان شدَّة حرارة بغداد تلزم سكانها النوم على السطح ليلًا في فصل الصيف . وكان خادمي المذكور ينام بالقرب مني لاحتياجي اليهِ عند عيادتي المرضى . فرأيتهُ ذات ليلةٍ قمراء قد قام من فراشهِ بكل هدوءٍ وسكون لا مزيد عليهما . واخذ يلبس ثيابه ويلفّ عمامته ويتمنطق بمنطقتهِ بالترتيب حسب مألوف عادتهِ . ثم حزم فراشه بلحافهِ حزمةً واحدةً وحملهُ على كتفهِ وذهب ماشياً على السطح وعيناه مفتوحتان . وكان

سطحنا فسيح الاطراف مقسوماً الى قسمين الواحد اعلى من الثاني درجةً واحدةً . فلمّا بلغ جرجو الدرجة ترلها بكل سهولة وراح حتى وصل الجّانق (وهو الحجّل او الحجر باسان اهل بغداد والدرابزين باسان اهل سورية) فركبه كما يركب الرجل الفرس وفراشه على كتفهِ . فحينئذٍ أخذ الفزع مني كل مأخذ وقلتُ في نفسي ها انهُ يهبط عن قليل الى صحن الدار فيتحطَّم كل التحطُّم فنزلتُ من سريري وركضتُ وراءهُ حتى بلغتهُ على بعد ذراع واحدةٍ فوقفت في موطني انتظر نتيجة العمل . فرفع عقيرتهُ واخذ يصرخ بأعلى صوتهِ قائلاً : أهربوا خارجاً يا سارقين والّاترلتُ اليكم . وجعل يكرّر هذه العبارة مراتٍ حتى سكت . ثم ترل عن الجلق ومشى راجعاً الى محله ففرش فراشه بترتيب عجيب ثم حلّ منطقتهُ والقى عن راسهِ عمامتهُ ثم خلع ثيابهُ واحلّ كل قطعةٍ محلها الاوّل فنام حتى طلع الفجر وانا كنتُ اتتبع حركاته

وحضرت للمرَّة الثانية جولانه ليلاً في فصل الشتاء . وكان حسب عادته نائماً بالقرب مني داخل المقصورة . وكان بابها مقفلاً والمفتاح معلّقاً بملاقٍ في الحائط . فقام جرجو المذكور وترك فراشه في موضعهِ ولم يأخذ معهُ شيئاً غير عمامته ومنطقته وكانت بعيدة عني منضدة (طاولة) عليها قنديل يشتعل وكنت وقتئذٍ جالساً بفراشي اطالع كتاباً طبياً فمرَّ من امامي وهو يمشي الهوينى وعيناه مفتوحتان . وبمروره لم يعثر جسمه بشيءٍ . ثم ذهب توّاً الى المفتاح المعلق واخذهُ وفتح به باب المقصورة وخرج الى صحن الدار وهو يتمشى ذات اليمين وذات الشمال متكلماً بلسانهِ التلكيفي . وبقي هناك هنيهةً متردّداً ثمَّ قفل راجعاً وأغلق باب المقصورة وعلّق المفتاح في مكانهِ كما كان قبلاً . وبينما هو مارّ من امامي زجرتهُ بأعلى صوتي ثم قبضتُ عليهِ من كتفهِ واوقفتهُ قائلاً لهُ : الى اين ذاهب ؟ ماذا تريدُ ؟ فانتبه واجابني كمن لا يدري ماذا جرى لهُ فرقَّ لهُ قلبي وقضيتُ معظم تلك الليلة متفكراً بعلاجهِ حتى وجدتُ لهُ دواء فأستعملهُ مدة طويلة حتى شفي من علّته

امَّا آراء الاطبّاء في اسباب هذا المرض فمتضاربة ولذا ترى كل واحد منهم يصف علاجاً حسب رايهِ . وعندي ان الجولان في النوم ليس بمرض كما هو المعهود عند اغلب الاطباء . وانّما هو عرض من اعراض الهستيريا (hystérie) ليس الّا . وهذا ممّا يطابق كل المطابقة راي شركو (Charcot) وجلّ لاتوريت (Gilles de la Tourette) وليبوني (Liponi) وفرازر (Fraser)

والجائل في اليوم هستيريٌّ محض ويظهر صدق هذا الكلام اذا ما تأمله الطبيب ودقق في فحصهِ وتعقّب اعراض المرض المذكور فما عليهِ اذًا الّا ان يداوي الهستيريا راسًا لكي يشفى هذا العرض

امَّا الجولان فعلى ضروب شتى. فمنهُ الجولان الصرعي (épileptique) وهو ما يحدث في الممنوّين بالصرع. ولذلك ترى واحدهم يترك احيانًا مخزنه واشغاله وبيته ويجول سحابة نهارٍ او نهارين او ثلثة تائهًا في طرق المدينة او يجوب البراري غير مكترثٍ بتعبٍ او نصبٍ حتى تغادره النوبة. وتارةً ترى البعض منهم يتصرَّفون في افعالهم تصرُّف المصاب بعقلهِ فينهبون ويحرقون ويقتلون ويرتكبون افظع الجرائم واشنع العظائم وهم لا يدرون ما يفعلون. وقد رأيت رجلًا ضعيف البنية من بلاد البترون مبتلى بهذا المرض اي بالجولان الصرعي فاذا ما جاءته النوبة ترك بيته وشغله وتاه على وجههِ يجوب البراري مشيًا مسافة يومين او ثلاثة لا يعلم ما يدفعهُ الى فعل ذلك حتى تذهب عنهُ النوبة فيرجع الى بيتهِ غير عالمٍ بما جرى لهُ. وقد نقل الينا العلّامة تروسو (Trousseau) حادثة ذاك القاضي الفرنسي اذ كان مجتمعًا مع اصحابهِ للنظر في دعوى. اذ فاجأتهُ نوبةٌ فقام عن كرسيهِ وقضى حاجتهُ في زاويةٍ من زوايا الردهة امام الجمهور بدون علم منهُ

فعلى اولياء الامر خصوصًا على رؤساء المدارس ان يتروّوا في تأديب الاحداث المبتلين بمثل هذا الداء فلا يقتصُّوا منهُ سريعًا قبل ان يُطلعوا على امره الطبيب فيفحصهُ هذا فحصًا مدققًا كما هو جارٍ اليوم في بلاد الفرنجة

ومن انواع هذا الداء الجولان الاصطناعي وهو ما يولدهُ الاطباء في الانسان نهارًا بقوَّة التنويم (hypnotisme) وعندي لو يمنع ارباب الحكم اولئك الذين يتعاطون هذه المهنة منعًا كليًّا لاتوا من الخير ما لا فوقهُ صنيع يُشكر. ولا يخفى على القارئ ما ينتج من الاضرار عن التنويم. فلو اراد المنوّم مثلًا قتل انسان امر المنوَّم وهو في حالة التنويم ان يذهب المحلَّ الفلاني ويقتل الشخص الفلاني في الساعة الفلانية. فاذا انتبه المنوَّم يقضي كل ما أُمر بهِ بالتمام. ولا غرو ان البعض من فاعلي الآثام يكونون من هذا الباب

ومنها ايضًا الجولان الطبيعي او الفسيولوجي وهو ما يحدث ليلًا. وهذا النوع يكون ارثيًا غالبًا. والرجل السكير مستعد كل الاستعداد ليورث هذا الداء احد اعقابهِ

امّا المريض فتصيبهُ النوَب ثلاث ساعات واربما بعد نومهِ وفي اثنائهـا تتولَّد فيهِ قوَّة عصبيَّة غريبة لا بل عجيبة اذ يتوصَّـل مرارًا الى المشي على حافة الحائط بدون ادنى ضرر

والدواء الشافي لهـذا العرض انما هو الابتراد (اي الاغتسال بالماء البارد) يوميًّا وشرب برومور البـوتاس ممزوجًا بالمنتول (menthole) ويُحظر على المريض شرب المسكرات والمخدّرات كالتبغ والقهوة والشـاي واشكال المكبوسات بالخلّ ويبتعد بقدر الامكان عن التغضب والحزن وما اشبه ذلك وينقي معدته مرةً كل اسبوع ·

الكرسي الرسولي وطائفة الكلدان

بقلم الاب الفاضل القس بطرس عزيز نائب غبطة بطريرك الكلدان في حلب

يسرُّنا ان نرى علماء الطوائف الشرقيَّة طبقًا لِما كانت مجلَّة المشرق الغرَّاء قد حرَّضت عليهِ مرارًا يحثّون في التنقيب على تواريخهم متنافسين في اعلاء منار اجدادهم وطقوسهم ومشاهير كتبتهم يبذلون الجدّ والجهد في نشر مآثرهم واستخراجها من زوايا المكاتب والمخازن الى عالم العلم · وقد ادرجت المجلـة المذكورة شيئًا من ذلك ولا تزال تتحفنا بما يتيسَّر من هذا الباب المرَّة بعد المرَّة · فاحببنا اليوم ان نوقف قرَّاء هذه المجلة على فحوى كتاب جديد جاء في هذا الصدد مطبوعًا في رومية (١ (بمطبعة Ermanno Loescher) نشرهُ حضرة الاب الفاضل الارشدياقون شموئيل جميل الرئيس العام على اديرة الكلدان المحترم ودعاه العلاقات بين الكرسي الرسولي وطائفة الكلدان وقد سبق المشرق (٥ : ٩٥٦) فوصف الكتاب وصفًا اجماليًّا الَّا انَّ ما يتضمَّنهُ هذا الكنز الثمين من الفوائد التاريخيَّة والجغرافيَّة والابحاث الخطيرة التي كان اكثرها في طيّ النسيان حملنا على ان نفرد لتعريفهِ مقالة لاقتباس درره المكنونة ونسرد ما جاء فيـهِ من الامور المستحقة الذكر ليتاكد القارئ صحَّة قولنا في اهميَّة وفضل مؤلّفهِ جازاه الله كل خير واجزل ثوابه

(١ وهذا اسم الكتاب باللاتينيَّة Genuinæ relationes inter Sedem Apostolicam et Assyriorum Orientalium seu Chaldæorum Ecclesiam.

مكثت الطائفة الكلدانيّة منذ انفصالها عن الكنيسة الكاثوليكيّة في الجيل الخامس حتى الجيل الثالث عشر في البدعة النسطوريّة بعيدةً عن مركز الكثلكة لا علاقة بينها وبين الاحبار الرومانيين حتى قام بين بطاركتها سبريشوع الخامس. ففي عهد هذا البطريرك تمّ الاتحاد الاوّل العامّ بين النساطرة والكنيسة الرومانيّة اذ ارسل صورة ايمانهِ الى رومية بواسطة ربّان آرام نائب المشرق وكان هذا مقيمًا في بلاد الصين فارسل باسمهِ وباسم بطريركهِ الى البابا اينوشنسيوس الرابع رسالةً محتوية على صورة ايمانهِ ومعها رسالة أُخرى من يشوعياب مطران نصيبين وقّع عليها ايضًا مطرانان وثلاثة اساقفة من تلك البطريركية وهذا اوّل ما يُفتتح بهِ الكتاب (عدد ١) — الّا انَّ مكيخا ودنحا خلفي سبريشوع لم يحافظا على هذا الاتحاد. فبعد وفاة دنحا انتُخب بطريركًا يابالاها الثالث رئيس اساقفة الصين. فهذا في السنة الثالثة والعشرين من بطريركيتهِ اعني سنة ١٣٠٤ جدَّد الوحدة مع الكرسي الروماني بارساله صورة ايمانه الى البابا بندكتوس الحادي عشر فيها يعترف برئاستهِ على الكنيسة كلها ويطلب الشركة معهُ (عدد ٢). ثم ورد منشور اوجانيوس الرابع فيهِ يقبل في حضن الكنيسة طيماثاوس مطران قبرس النسطوري وايليا اسقف الموارنة بعد ان قرّرا صورة ايمانهما امام المجمع اللاتراني سنة ١٤٤٥ (عدد ٣)

وبعد وفاة يابالاها (١٣١٨) انقطعت العلاقات بين الطائفة الكلدانية والكنيسة الرومانية مدة مئة وخمس وثلاثين سنة قام في اثنائها سبعة بطاركة نساطرة وفي وفاة آخرهم شمعون الملقب بَرْ ماما حاول ابن اخيهِ شمعون دنحا ان يخلفهُ بموجب العادة الذميمة التي كانت قد دخلت عند النساطرة ولم تزل حتى اليوم عندهم بان يقوم البطاركة كلّهم من عائلة واحدة بالوراثة الّا ان الشعب استنكف من ذلك فانتخب الراهب يوحنًا سولاقا وأرسلهُ الى رومية. ففي العدد ٤ تجد رسالة كلدان الموصل الى البابا يوليوس الثالث سنة ١٥٥٢ فيها يلتمسون منهُ ان يرسم لهم بطريركًا حامل الرسالة يوحنًا سولاقا المنتخب منهم ثمّ صورة ايمان سولاقا الذي ابرزهُ امام البابا المذكور (الصفحة ٤٧٧) وما قصّهُ الكردينال مافيوس في اجتماع الكرادلة عن احوال الكنيسة الكلدانية في اثناء منح الدرع الرسولي لسولاقا (ص ٤٧٩) ويليها قصة سفر سولاقا الى رومية ورسامتهِ ورجوعهِ الى بلادهِ بالكلدانية مع ترجمتها باللاتينية (ص٤٨٣) ثم

براءة يوليوس الثالث حيث يثبت سولاقا بطريركا ويعلن حقوقهُ وامتيازاته (عدد ٥) مع براءة ثانية فيها يمنح البابا المذكور الدرع الرسولي لسولاقا ويثبت امتيازاته ويقرّر الطريق التي يجب ان يُجرى عليها في انتخاب الاساقفة والبطريرك (عدد ٦)

ولمّا استشهد سولاقا خلفهُ عبد يشوع الرابع فاصدر البابا بيوس الرابع براءةً فيها ينقلهُ من اسقفيَّة الجزيرة الى بطريركية الموصل وفيها صورة ايمان هـذا البطريرك الذي ابرزهُ امام البابا بالكلدانية واللاتينية سنة ١٥٦٢ مع صورة ايمان ثانيـة قرّرها امام الكرادلة في السنة عينها يذكر فيها البلاد والابرشيَّات الخاضعة لهُ فهذه باللغة الكلدانية مع ترجمتها باللاتينية أُرسلت الى المجمع التريدنتيني (عدد ٨ الى ١٠) — وفي العدد ١١ رسالة بيوس الرابع الى رئيس اساقفة نَخجِفان في ارمينية الكبرى يأمرهُ ان يبعث الى البطريرك المذكور كاهناً من اكليروسهِ يعرف اللغة الكلدانيـة لكي يساعدهُ على نشر الايمان الكاثوليكي في تلك الاقطار

ومن العدد ١٢ حتى ٢٢ رسائل في ما يخصّ امر مار ابراهام الكلداني رئيس اساقفة انكمالي في الهند. فهذا كان عبد يشوع البطريرك قد ارسلهُ الى الملبـار كعادة سلفائهِ وكان في الهند حينئـذٍ اسقف آخر كلداني اسمهُ يوسف فوقع بين الاسقفين خلاف الجأ مار ابراهام ان يترك الملبار ويأتي بابل حيث وجد عبـد يشوع البطريرك فزوّدهُ هذا بتوصية الى البابا بولس الرابع وارسلهُ الى روميـة فارسل البابا المذكور الى البطريرك يخبرهُ بوصول مار ابراهام اليه ويشير عليه ان يحدّد لكل من الاسقفين ابرشيَّة معلومة (عدد ١٢) — وارجع ابراهام الى الهند مع وصية الى رئيس اساقفة غوا (Goa) فيها يمدح تمسُّك ابراهام الشديد بالكرسي الروماني ويحرضهُ على مساعدته (عدد ١٣) ورسالة أُخرى الى اسقف كوشين (عدد ١٤) يوصيه ان لا يتجرأ احد على مقاومة مار ابراهام بل ان يرعى شعبه الذي خصصهُ لهُ بطريركه بكل امان — وفي العدد ١٥ يُطلب الدرع الرسولي لمار ابراهام

ومن العدد ١٦ الى ١٩ مراسلات بين البابا غريغوريوس الثالث عشر وملك كوشين في شان مار ابراهام وصورة ايمان ابراهام المذكور (عدد ٢١) وفي العدد ٢٢ رسالة موقعة باسم وجهاء (ارخندس) الملبار الكلدان الى الحبر الاعظم يقولون فيهـا بانهم منذ ما بشرهم توما الرسول بالايمان يستعملون الصلوات والطقوس باللغة الكلدانية ومطارنهم

واساقفتهم وكهنتهم يُرسلون لهم من بلاد آثور فبناء على ذلك يطلبون منهُ ان لا يدعهم يتامى بل ان يحرّض بطريرك الكلدان على ان يرسل لهم اساقفة ليرعوهم حسب العادة.
وفي العدد ٢٦ رسالة مار ابراهام الى غريغوريوس الثالث عشر يخبره بانهُ عمل هناك سنهودوساً قبلهُ الجميع بالايمان الكاثوليكي ويقترح عليهِ بان يقيم في الملبار مدرسة كهنوتية ويطلب ان يزداد في تلك الناحية عدد المرسلين اليسوعيين وان يُطرد من تلك البلاد الاسقف شمعون الدخيل الذي بسببهِ حدث شغب عظيم بين الاكليروس والشعب. وقد نال ابراهام طلبه هذا بسعي المرسلين الفرنسيسيين هناك

وفي تلك الاثناء كان عبد يشوع الرابع ارسل الى الملبار مار ايليا هرمز حبيب اسمر مطران آمد فلمَّا توفي البطريرك المذكور رجع مار ايليا الى ما بين النهرين سنة ١٥٧٨ ودبّر الكنيسة الكلدانية في شيخوخة البطريرك عطاء الله الذي خلف عبد يشوع حتى توفي عطاء الله فانتُخب عوضهُ شمعون دنخا مطران جيلو وسعرت وسلماس سنة ١٥٨٠ وكان قد ردَّه من النسطورية الى الكثلكة مار ايليا هرمز السابق الذكر. فلمَّا تم الانتخاب أُرسل مار ايليا الى رومية ليطلب باسم آباء المجمع تثبيت البطريرك ومنحهُ الدرع الرسولي كما يتضح من الرسالة الموجَّهة الى غريغوريوس الثالث عشر (عدد ٢٤) — فلمَّا وصل اليها ترل ضيفاً كريماً عند الكردينال كرافا محامي الكلدان وبواسطته قدّم الى الحبر الاعظم عريضة مفصَّلة في احوال طائفته في ما بين النهرين والهند (عدد ٢٥)

سنة ١٦٠٠ انقسمت الطائفة الكلدانية النسطورية الى بطريركيتين احداها في بلاد فارس يرأسها بطاركة باسم شمعون والاخرى في ما بين النهرين باسم ايليا وبعنوان بطريركية بابل. فحدث سنة ١٦٠٦ ان قدم الى رومية سائحان نسطوريان من بلاد التتر حيث كانت الطائفة الكلدانية ممتدَّة من زمن مديد ليتبركا بزيارة ضريح الرسولين بطرس وبولس فاكرمهما الحبر الاعظم بولس الخامس والشعب الروماني اكراماً لا مزيد عليهِ وتلطف بهما وسألهما عن احوال الطائفة الكلدانيَّة دينياً ومدنياً فاجاباه بعريضة مدقَّقة تجد صورتها تحت العدد ٢٧. وفي رجوعهما الى بلادهما عرَّجا الى بابل وقصَّا على بطريركهما ما نالهما من العزّ والاكرام من لدن الحبر الاعظم وقدَّما لهُ هدايا ارسلها معهما بولس الخامس الى البطريرك فبعث البطريرك رسولًا من قبلهِ الى البابا يشكرهُ على ذلك فصارت هذه المواصلة سبباً لاتحاد عمومي بين النساطرة الكلدان والكنيسة الرومانية فتمَّ

الامر سنة ١٦١٦ في عهد ايليا السابع البطريرك وبولس البابا الخامس بعقد سنهودوس في آمد حضره بطلب البطريرك الاب توما دي نوڤارة الفرنسيسي بصفة قاصد رسولي وكان حينئذٍ رئيس الرسالة في حلب كما يظهر من العدد ٤٠ الى ٤٤ والمراسلة التي جرت في تلك الغضون بهذا الشان بين الحبر الاعظم والطائفة الكلدانيَّة تمتد من العدد ٢٨ الى ٤٨.وكان الواسطة لهذا العمل آدم الارشدياقون الذي اضحى بعدئذٍ مطرانًا على آمد واورشليم بايعاز بولس الخامس قلَّدهُ هذه الرتبة لما رأى فيه من التقوى والفطنة والعلم وسلامة الطوية حتى ترى كأن الحبر الاعظم شُغف به فلا يكلّ عن مديحهِ حيثما اتى بذكره في رسالاته الموجهة الى بطريرك الكلدان او الى بطريرك الموارنة او الى حارس الاراضين المقدَّسة وجميع الملوك والامراء الذين كان لا بُدَّ لآدم ان يمرَّ بهم في رجوعه من رومية الى بلاده (عدد ٣٠-٤١) — فلمّا رُسم آدم مطرانًا ارسل الحبر الاعظم رسالةً فيها يهنئ البطريرك واساقفته على ذلك (عدد ٤٧) ويمدح تقواهم وتعلّقهم بالكرسي الرسولي ثمَّ يبدي لهم بعض الملاحظات على الرسالة السنهودوسية التي بعثوا بها اليه (عدد ٤٢) وانهُ اذا ما استتبَّ الاتحاد ينالون المصلّى الذي كان لهم في القبر المقدس باورشليم وتُلغى التقييدات التي قُيِّد بها الكلدان في الهند

وسنة ١٦١٧ توفي ايليا السابع فخلفهُ شمعون ايليا فارسل باسمه وباسم اساقفته رسالة محتوية على صورة ايمانهِ الى البابا بولس الخامس فيها يعظِّم الكرسي الروماني ويطلب الشركة معهُ غير ان البابا المذكور لم يجد ايمانهُ مستقيمًا فارسل اليهِ الاب توما دي نوڤارة ليحرضه على اكمال ما نقص في ايمانهِ كما يتضح من رسالته اليه (تحت العدد ٥١) — وفي سنة ١٦٧٠ ارسل شمعون الخامس البطريرك النسطوري من مدينة اورمية في فارس حيث كان مقيمًا رسالةً الى اقليميس العاشر (ع ٥٧) فيها يطلب الاتحاد معَ الكرسي الروماني والحبر الاعظم يمدح مدحًا بليغًا ايمانهُ في ما يخصّ سر الثالوث الاقدس والتجسد الالهي ويريد ان لا يُزاد ولا ينقص شيء من طقوسه الكلدانية

ولما كان ايليا يوحنا النسطوري بطريركًا على بابل انقطع من طاعتهِ يوسف رئيس اساقفة آمد واعتنق الكثلكة سنة ١٦٥٧ وتبعهُ جمهور عديد من الكلدان وتكبّد من جراء ذلك محنًا عظيمة دامت سبع سنين وفي سنة ١٦٦٤ هرب الى رومية ثم عاد الى آمد ولمّا كان الشعب الكلداني الراجع الى الكثلكة يزداد يومًا فيومًا رقّاه البابا

اينوشنيوس الحادي عشر الى درجة البطريركية وانعم عليه بالدرع الرسولي (عدد ٥٩ و٦٠) — وفي سنة ١٦٨١ انقسمت الامة الكلدانية الى ثلاث بطريركيات الواحدة في بلاد فارس يرأسها شمعون الخامس والثانية في ما بين النهرين والعراق يسوسها ايليا يوحنا النسطوري والثالثة في آمد يتولاها البطاركة اليوسفيون الكاثوليكيون ولم تزل هذه البطريركية على اعتقادها المستقيم حتى ارتدت البطريركية البابلية هي ايضاً الى الكثلكة بنوع قطعي سنة ١٨٢٠ في عهد يوحنا هرمز وامتزجت معها ولم تزل حتى ايامنا هذه

اما ما كان من امر البطريرك يوسف الاول فانهُ بعد ان مكث اثنتي عشرة سنة في البطريركية احتمل في خلالها اضطهادات لا توصف من النساطرة تنازل عن البطريركية سنة ١٦٩٥ وسافر الى رومية حيث توفاه الله. وفي حياته خلفهُ يوسف الثاني تلميذهُ فثار عليهِ الهراطقة (كما يظهر من عدد ٦٢ و٦٣) وارسل البابا اقليميس الحادي عشر يثني على غيرته في نشر الايمان الكاثوليكي في تلك البلاد ويحرضهُ ان يقيم لهُ وكيلا في رومية (عدد ٦٤) — فارسل البطريرك رسولاً من قبله يشكر الحبر الاعظم على الدرع الرسولي الذي منحهُ اياهُ ويقدم لهُ فرائض احترامهِ وتعلقهِ بالكرسي الروماني. وكان هذا البطريرك عالماً نحريراً فلم يزل رغماً عن الاضطهادات مكبّاً على تأليف الكتب المفيدة لطائفتهِ يستحق الذكر بينها كتاب وضعهُ بالكلدانية والعربية ودعاه «المرآة الجليّة» اودعهُ مباحث نفيسة في الاعتقاد الكاثوليكي لاسيما رئاسة الاحبار الرومانيين ولهذا الكتاب شان عظيم في تاريخ رجوع النساطرة الى الكثلكة ولذلك لم يتالك حضرة الاب شمونيل ان يدرج هنا البحث الذي خصَّهُ يوسف الثاني بالدفاع عن رئاسة بطرس وخلفائهِ الاحبار الرومانيين بالكلدانية واللاتينيَّة (عدد ٦٦ — ٦٩)

ولمَّا توفي البطريرك يوسف سنة ١٧١٣ خلفهُ موسى طيماثاوس اسقف ماردين باسم يوسف الثالث في عهد اقليميس الحادي عشر الذي ارسل يشجعهُ ويعدهُ بمساعدته في وسط الشدائد (عدد ٧٢). وفي رسالة أُخرى يثني على ثباته في التجلُّد على الاهانات التي تصيبه من اعداء الايمان الكاثوليكي (عدد ٧٤). وهكذا ايضاً بندكتوس الثالث عشر (عدد ٧٥). وفي عدد ٧٣ عريضة مفصَّلة ثمينة في احوال الكلدان من سنة ١٧٠٠ الى ١٧٥١ قدمها يوسف الثالث الى مجمع انتشار الايمان اذ كان في رومية وفيها فوائد

ذات شأن منوطة بتاريخ الكلدان عموماً وبطريركية يوسف الثالث خصوصاً لاسيما في ما احتمله من المشقّات والبلايا في سبيل الايمان الكاثوليكي — وفي العدد ٧٨ رسالة من مجمع انتشار الايمان الى البطريرك المذكور يطلب اليه ان يرسل كاهناً الى الموصل ليوزع الاسرار للكلدان المنضوين الى الكثلكة هناك. وفي كتابنا رسائل كثيرة في شؤون مختلفة تخص زمان هذا البطريرك نضرب عنها صفحاً حباً بالاختصار

وبعد وفاة هذا البطريرك سنة ١٧٥٩ انتُخب عوضه طيماثاوس لمازر هندي وتسمّى يوسف الرابع وكان تلميذ مدرسة مجمع انتشار الايمان فنال التأييد والدرع الرسولي من البابا اقليميس الثالث عشر كما يظهر من البراءات (تحت عدد ١٠٧ و ١٠٨). وبينا كان هذا البطريرك يسوس الكلدان المتحدين مع الكرسي الروماني في آمد وغيرها حدث ان شمعون بطريرك النساطرة في كردستان وفارس طلب الاتحاد مع الكنيسة الرومانية فارسل صورة ايمانه من قوجانس محل اقامته مع رسول الى البابا اقليميس الرابع عشر (عدد ١١٠ و ١١١) فقبله الحبر الاعظم بسرور عظيم وبشّر الكرادلة بذلك في اثناء خطابه في اجتماع سنة ١٧٧١. وكذلك صنع ايليا البطريرك النسطوري البابلي مع اخيه المطران يشوعياب (عدد ١١٢ و ١١٣) بنوع ان البطاركة الثلاثة الذين كانوا يسوسون الطائفة الكلدانية حينئذٍ كانوا جميعاً متحدين مع الكرسي الروماني الّا ان ايليا وشمعون وخلفاءهما لم يثبتوا في الاتحاد بل رجعوا الى الهرطقة امّا يوسف فحفظهُ حتى النسمة الاخيرة من حياتهِ واورثهُ خلفاءه الذين حتى يومنا هذا يحرصون عليهِ ولا حرصهم على حدقة عينهم

وفي سنة ١٧٧٩ توفي يوسف الرابع وبقي الكرسي البطريركي الآمدي فارغاً من اجل جور الزمان فتولاهُ رئيس اساقفة آمد يوسف اوغسطين هندي باسم الكرسي الرسولي (عدد ١١٤) حتى سنة ١٨٢٦ حيث انتقلت البطريركية الى يوحنا هرمز رئيس اساقفة الموصل فاثّد انتخابهُ بيوس الثامن ومنحه الدرع الرسولي (عدد ١٦—١٨) واذ كان هذا البطريرك شيخاً هرماً أُعطي لهُ معاوناً باسم غريغوريوس السادس عشر يعقوب ايشعيا (زيّا) رئيس اساقفة اذربيجان مع حق التخلف لهُ في البطريركية (عدد ١١٩) — فلمّا توفي يوحنا هرمز سنة ١٨٣٨ خلفهُ معاونه فايدهُ الكرسي الرسولي وانعم عليهِ بالدرع المقدس (ع ١٢٠) الّا انهُ تنازل عن البطريركيّة بعد سبع سنين

فتقلّدها يوسف اودو مطران العمادية (عدد ١٢٠—١٣١) — ثم ايليا عبو اليونان مطران الجزيرة (عدد ١٣٢—١٣٣) ثم عبد يشوع خياط مطران ديار بكر (١٣٧—١٤٢) — ثم يوسف عمانوئيل توما مطران سعرت (عدد ١٤٤) وهو الذي يدبر اليوم الطائفة الكلدانية بغيرة اشبه بغيرة الرسل وقد علقت فيه هذه الطائفة آمالًا عظيمة لنجاحها لما رأت من عالي درايته وحسن سياسته امدّ الله في ايامه وادامه في راس ابنائه تاج عز وفخر

وممّا قلناهُ حتى الآن وان كان على سبيل الاستطراد يتحقّق القارئ ما لكتابنا من المقام الرفيع في تاريخ الكنيسة وكم قد تجشم مؤلّفهُ من التعب والنصب في جمعهِ فلا يسعنا الآن تكرر الثناء والشكر على ما أولى الطائفة الكلدانية من الفضل والاحسان

هذا وفي الختام نلاحظ ان ما من احد يطالع كتابنا الّا ويستنشق من خلال صحائفهِ امرين يلمعان لهُ بنور ساطع: اولهما ان الاحبار الرومانيين قد بذلوا قصارى جهدهم وعانوا عناء جزيلًا ولم يدعوا واسطةً الّا واتخذوها لاصلاح احوال بلادنا الشرقيّة وردها من الضلال الى اعتناق الحق غيرةً منهم على حفظ وحدة الكنيسة تاكيدًا لما كرّرهُ لاون الثالث عشر مرارًا كثيرة. والامر الثاني ان الكنيسة الكلدانيّة مع وجودها في بلادٍ بعيدة قد اعترفت دائمًا وفي كل مكان حتى في النسطرة بان الحبر الروماني هو رئيس الكنيسة الجامعة وداعي رعاتها لكونهِ خليفة بطرس هامة الرسل. وسنفرد مقالات خصوصيّة لكل من هاتين القضيّتين في ما يأتي ان شاء الله

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٥ الامم البائدة في لبنان

٧ الجراجمة

قد رأى القرّاء ما في مسألة المردة من المعضلات التي لم يحلّها حتى الآن فطاحل العلماء (راجع المشرق ٥ : ٨٨٦ و ٩١٤) على انّ هـذا المطلب يقودنا الى بحثٍ آخر لهُ معهُ بعض العلاقة نعني بذلك أمّة الجراجمة

يفيدنا التاريخ ان في القرن التاسع قبل الميلاد كانت في شمالي غربي سوريَّة مملكة صغرى تدعى جرجومة عاصمتها مرعش. والمرجَّح انَّ هذه الدولة أُنشئت من بقايا دولة الحثيين البائدة (راجع المشرق ٥: ٧٠٩) خلفتها في ولاية قسم من بلادها في زمن لا يمكن تعريفهُ بالتدقيق. بيد أنَّنا نعلم ان اهل هذه المملكة لم يكونوا من عنصر آرامي لانَّ دولة الآراميين لم تمتدّ الى تلك الجهات على الاقل في الجيل المذكور. واسم الجراجمة واردٌ في الكتابات الاشوريَّة التي تفيض في احوال هذا الشعب والتقلُّبات التي طرأت عليهِ. ولا نجد بعد الآثار البابلية ذكرًا للجراجمة الى عهد المردة في لبنان اعني القرن السابع للمسيح

قال البلاذري في كتاب فتوح البلدان (ص ١٥٩–١٦٣) في مطاوي كلامهِ عن فتح العرب لبلاد الشام: «انَّ الجراجمة من مدينةٍ على جبل اللُّكَّام عند معدن الزاج فيما بين بيَّاس وبوقا (١ يقال لها الجرجومة» فيظهر من هذا القول انَّ الجراجمة لم يلبثوا ساكنين في المكان الذي اشارت اليهِ كتابات الاشوريين قبل خمسة عشر قرنًا الَّا انَّهم كانوا منحصرين في قسم من اللكَّام (ألْما داغ) بين مدينة بيَّاس الساحليَّة ونهر قراسو. وكانت مدينتهم الكبرى التي منها اتَّخذوا اسمهم لا تزال تدعى جرجومة

ثم يذكر البلاذريّ تاريخ الجراجمة على مألوف عادتهِ في ذكر غيرهم من الشعوب القديمة فترى في كلامهِ بعض الابهام لانهُ يروي في حقّهم الروايات المختلفة التي جمعها دون ان يكدَّ ذهنهُ في اثبات صحَّتها او التوفيق بينها. الَّا انَّ الذي يتروَّى في كلامهِ ويقابل بين هذه الروايات الشتَّى يأخذهُ الانذهال لما يجد بين اخبار الجراجمة والمردة من التشابه. فان ما ذكرهُ المؤرخون اليونان عن قدوم المردة من شمالي سوريَّة الى جنوبيها وعن احتلالهم جبل لبنان وسكونهم في جوار حمص وبعلبك ودمشق قد رواهُ البلاذري عن الجراجمة على عهد الخليفة الاموي عبد الملك وهو على وشك السير الى بلاد العراق. ثم اردف البلاذريّ قولهُ بقولهِ «وضَوَتْ اليها (اي الروم) جماعة كثيرة من الجراجمة وانباط وعبيد أُبَّاق من عبيد المسلمين» وهو كلامٌ ينطبق على قول المؤرخ تاوفان في المردة كأنَّ المؤرخَيْن اليونانيّ والعربيّ سندا قولهما الى رواية واحدة لا تكاد تختلف حتى في اللفظ ثم ينتهي امر الجراجمة في تاريخ البلاذري كما ينتهي امر المردة في تاريخ تاوفان

١) لم نجد في كتب البلدان لجغرافيّي العرب ما يعرّفنا بموقع بوقا الَّا كونها من عمل انطاكية

اعني بعقد معاهدة بين الخليفة الاموي وملك الروم. وكان من نتيجة ابرام الصلح كما روى البلاذري (ص ٢٦٠) ان « تفرّق الجراجمة بقرى حمص ودمشق ورجع اكثرهم الى مدينتهم في اللكّام » وهي ايضاً رواية شبيهة برواية تارفان عن تفرّق المردة ورجوعهم الى وطنهم. امّا مدينة جرجومة فخربت بعد ذلك بزمن قليل

وممّا روى ايضاً البلاذري (ص١٦١) في تاريخ سنة ٨٩ هـ (٧٠٨م) انّ الوليد بن عبد الملك وجّه الى الجراجمة مَسْلَمة بن عبد الملك فافتتح مدينتهم على ان ينزلوا بحيث احبّوا من الشام وعلى ان لا يُكرَهوا على ترك النصرانيّة ولا يؤخذ منهم جزية... اما بطريقهم فنزل في جماعة معهُ انطاكية ثم هرب الى بلاد الروم. وجاء في فتوح البلدان ايضاً انّ الخلفاء اجروا الارزاق على هؤلاء الجراجمة واستعانوا بهم في حروبهم(١ وما ذلك الّا لانّ موقع بلادهم كان في جبال ومضايق تجري فيها صوائف العرب عند نفوذهم في بلاد الروم. وكلّ هذه التفاصيل التي ذكرها البلاذري لا نكاد نجد لها اثرًا في كتبة العرب اللهمّ الّا ياقوت في كتاب معجم البلدان في مادّة « جرجومة » وهو ينقل هناك شيئًا ممّا اثبتهُ البلاذري. ويظهر من كلام ياقوت انّ الجراجمة في زمانه كانوا امتزجوا بغيرهم من الملل وانّ جرجومة عاصمتهم لم تزل خرابًا. وفي تاريخ حمزة الاصفهاني (ص ٣٩) ورد ذكر « مَن بالشام وفلسطين من الجرامقة والجراجمة »

ولا بُدّ ان يسألنا القارئ هنا عن رأينا في الجراجمة ايكونون من المردة او يمتازون عنهم(٢. قلنا) انّ ما يوجد من الاتفاق بين احوال المردة وامور الجراجمة من حيث موقع بلاد الفريقين وبسالتهما في الحروب وتواريخهما يحملنا على ان نطابق بينهما. ولا غرو فانّ اعظم المستشرقين في المانية وهو العلّامة نُلْدِك (Nöldeke) يؤكد لنا ان العرب في تواريخهم يدعون المردة باسم الجراجمة. وانّ كليهما امّة واحدة (٣ ونحن ايضاً

---

١) راجع فتوح البلدان ص ١٦١. ومعجم البلدان لياقوت في مادّة جرجومة

٢) الجرامقة قوم من انباط او آرامي العراق وقد ارتأى نُلْدِك الالماني الشهير انّ كتبة العرب لم يفرقوا بين الجراجمة والجرامقة والصواب انّ الجرامقة غير الجراجمة. وعندنا ان فرقة من الجرامقة استوطنوا الشام كما يظهر من تاريخ حمزة (ص ٢٥ و ٢٩) وياقوت (١: ٢٦). وكلاهما يذكر « جرامقة الشام » ولعلّ « جبلَي جرمق » في جنوبي لبنان وبلاد بشارة نُسبا اليهم

٣) راجع المجلة الاسيويّة الالمانية ZDMG, 1875, p.85. وقد قال نُلْدِك في ذيل تلك الصفحة « انّ العلماء لم يثبتوا حتّى الآن وحدة المرَدَة والمرَدَة والموارنة »

نصادق على كلام هذا الكاتب الثقة بعد التروي في ما كتب بهذا الصدد وان كنا نجد في اقوال البلاذري بعض الإشكال ألّا انّ ذلك في الامور العرضيّة دون الاصليّة

فان صحّ هذا القول نتجت عنهُ نتائج في امر المَرَدة لم ينتبه اليها الكتبة الاقدمون. منها ان هؤلاء القوم لم يكونوا من اهل لبنان الاصليين بل قدموا اليها من شماليّ سوريّة اذ انّ الجراجمة على قول البلاذري كانوا يسكنون جبل اللكّام الذي يختلف عن لبنان. وممّا يثبت انّ هؤلاء الجراجمة لم يكونوا آراميين اي من اهل سوريّة الاصليين انّ البلاذري يذكر في جملة من انضوى اليهم الانباط وهو الاسم الذي يدلُّ به كتبة العرب على العنصر الآرامي(١). وكذلك اذا فحصنا عن الامر على حسب قوانين علم الجغرافية وعلم اصول الشعوب وجدنا انّ الجراجمة ينتسبون الى آسية الصغرى ولذلك تراهم يرحلون بعدئذٍ الى بلاد الروم ويسكنون قيليقية لقرب موطنهم منها. وفي فتوح البلدان للبلاذري انهم احتلّوا جبل الحوّار وهو من اعمال قيليقية كما نبّه اليه ياقوت في المادّة

وممّا يستفاد ايضاً من كلام البلاذري امرٌ آخر ذو بال وهو انّ قسماً من الجراجمة كانوا ضربوا اطنابهم في لبنان قال في اثناء كلامهِ عن الجراجمة (ص ١٦٢): «خرج بجبل لبنان قومٌ شكوا عامل خراج بعلبكّ فوجّه صالح بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس من قتل مقاتلتهم واقرّ من بقي منهم على دينهم وردّهم الى قراهم واجلى قوماً من اهل لبنان» وهذا دليل واضح انّ قوماً من الجراجمة كانوا قبل هذا العهد في لبنان. وليس هذا حدساً على سبيل التخمين بل امرٌ راهن يثبتهُ المؤلف نفسهُ في كلامهِ عن ميمون الرومي المعروف بالجرجمانيّ. وكان مولًى لبني امّ الحكم اخت معاوية ابن ابي سفيان قال (ص ١٦٠ و ١٦١) «وانّما نُسب الى الجراجمة لاختلاطهِ بهم وخروجهِ بجبل لبنان معهم» فكان اذن في لبنان قومٌ من الجراجمة وهذا ما اردنا بيانهُ

فترى من بحثنا هذا الحاضر ما يؤيّد قولنا السابق في انّ المردة والموارنة ان لم يكونوا شعباً واحداً قد كانت على الاقلّ بينهم علاقات متينة. وكذا قل عن الجراجمة ولذلك افردنا لهم فصلاً ونظمناهم في سلك الامم التي سكنت لبنان. وسنبيّن قريباً انّ هذه الامم كلّها امتزجت بعد قليل امتزاج الماء بالراح (ستأتي البقيّة)

(١) راجع المجلة الاسيويّة الالمانية ZDMG, 1871, p. 124-125

إزدهار الديانة الكاثوليكية في انكلترة

بقلم الاب يوسف جاره اليسوعي (تتمة لما سبق)

انَّ من يتصفَّح اليوم كتب التعليم المسيحي المثبتة في بعض ابرشيات مذهب الاصلاح يجزم أنها قد نُقلت كلمةً فكلمة عن كتبنا الكاثوليكية ولا يشعر بموضوع خلافٍ الّا في ما يرجع الى السلطَة البابوية ولكن بعض لاهوتيِّيهم قد اقرّوا برئاسة معنوية خُصَّ بها الحبر الاعظم على سائر الاحبار برئاسة تنطبق (حسبما زعموا) على منطوق القضايا التسع والثلاثين المحتوية قانون الايمان البروتستاني. ولم يكتف الانكليكانيون باتّباع الحقائق المحدَّدة في المجامع بل ترعوا الى عباداتنا وهمُّوا باقتباسها. ولذا اخذوا عنَّا العبادة لسِرّ القربان التى كانت عندهم في غاية الاهمال والدثور ورضوا بالسجود للأعراض المقدَّسة اذ يؤمنون الآن بان السيِّد المسيح موجود فيها وجودًا حقيقيًا. ونشأت جمعيات يقضي اعضاؤها حياتهم لنشر هذه العبادة وللتكفير عمَّا يلحق من الاحتقار والهوان بهذا السِرّ موضوع محبتنا وواسطة خلاصنا. وما عداها ترى شركات تقويَّة تسمَّت باسم الصليب المقدَّس والورديَّة المجَّدة. وفي بعض الابرشيات يحتفلون بشهر قلب يسوع وبالشهر المريمي احتفالاً شائقًا يعكفون في مدارهما على تمارين خصوصية لا تخلو من الورع

ولا تحسبنَّ ان الاماتة المسيحية مردودة عندهم فالبعض آلوا على انفسهم ان يحفظوا الاصوام والقطاعات المرسومة. واكثر هذه الانفس تنكبُّ على كتب اللاهوتيين والمرشدين الكاثوليكيين سعيًا وراء قوتٍ روحيٍّ يؤيد قواها ويعرج بها الى درجة الكمال. فلذلك يتداولون عادةً مؤلفات القديسين فرنسيس دي سال وفرنسيس الاسيزي والآباء اليسوعيين لالمان وررودريكس وغرو (Grou) وتآليف فنلون (Fénelon) ومن شاكلهم. ثمَّ ان امر المزارات (pélerinages) لم يفتْهم. فهم يجارون الكاثوليكيّين مجاراةً كما شوهد ذلك منذ بضع سنين في عيد القديس كولبا (Columba) في جزيرة ايونا (Iona) وفي عيد القديس اغسطينوس في إبس فليت (Ebbs Fleet). وكذلك صار عملة الدين في انكلترة يتشرَّفون باتخاذ اسم «كاهن» الذي دفنهُ الاصلاح في لحد الخمول وهم يرون الآن انَّ هذا الاسم يقضي على صاحبه بالتسربل بحلَّة الفضيلة ويقلِّده سلطة سماوية عزَّ نظيرها. هذا ما حمل بعضهم على الظهور باللباس الرهباني في المدن والقرى لكي

يعانوا للناظرين زهدهم في الدنيا وتجردهم عن ملاذها. وآخرون قد اقلعوا عن الزواج وآثروا البتوليَّة واخذوا يحثُّون زملاءهم على التخلُّق باخلاقهم. وبما ان الحيوة الكهنوتية تقتضي استعدادًا طويلًا ودربةً عظيمةً في امور الدين فقد أُنشئت في ابرشيات كثيرة للمترشحين لدرجات الكهنوت مدارس لاهوتية تشبه مدارس اوربة الاكليريكية بعض الشبه. ولكي يكون عنصر الحياة فيها سليمًا من كل دَنَق قد صرفوا عنايتهم الى تعميم الرياضات الروحية ليستمدُّوا من معينها قوةً ونضارةً

ولقد بلغ مني الذهل مبلغهُ لمَّا سمعت انهم قد رمَّموا اديرة شتَّى كان الاصلاح سعى بخرابها فاقاموا فيها رهبانًا دعوهم بنديكتيين وفرنسيسيّين وراهبات المحبة وراهبات الفقراء والرحمة وما ضارعهنَّ منهجًا. وقد اتخذوا لانفسهم البسة كالبسة الكاثوليكيين وفي بعضها يبرزون النذور الرهبانيَّة ويمارسون التقشُّفات ويقضون ظلَّ النهار ما بين فروض الصلاة واعمال الرحمة

وفي لندن خُصَّت اديرة بعمل الرياضات يأتيها من اراد من النساء العالميَّات للخلوة بضعة ايَّام والهذيذ بامر الخلاص الابدي. واذ سأل المسيو طيرو دانجان (Thureau d'Angin وعن كتابه لخَّصنا جزءًا من هذه المقالة) (١ احدى الرئيسات القائمة بادارة تلك الاديرة عن اي كتاب يتَّخذنَهُ لهنَّ دليلًا في هذه الاجتماعات النسكيَّة اجابتهُ قائلةً: « لنا كتاب تمارين القديس اغناطيوس دي لويولا منشئ الرهبانيَّة اليسوعيَّة الذي تغني شهرتهُ عن وصف واصف »

فترى ممَّا سبق صحَّة قولنا في اوَّل مقالتنا ان المذهب الانكليكاني نبذ تعاليم الاصلاح الموهوم وكاد يقرُّ بكل تعاليم الكثلكة؟ ... ولقد احسن الكردينال ڤون رئيس اساقفة انكلترة اذ قال ما يلي في رمسغات (Ramsgate) منذ خمس سنين في تلك الحفلة البهجة التي اقامها الانكليز الكاثوليكيون تذكارًا للثلاثة عشر جيلًا التي عبرت ليوم وطئ اديمَ انكلترة القديسُ اغسطينوس مبشّر بريطانية بالانجيل: « لا يسعنا الا ان نطرق على رؤوس الملإ بلسان الشكر والصدق رجالًا كثيرين كانوا قبلًا اعداء للدين الدَّاء. فاضحوا اليوم اعوانهُ وانصارهُ المخلصين. رجالًا ذكُّوا الهياكل وجدَّدوا الكنائس من حلاها فشيَّد نسلُهم اليوم المذابحَ واغناها. رجالًا

(١ cf. Introduction, page XXXV à XLII

نبذوا كخرافة سرّ الاعتراف فأمسوا اليوم معرّفين. رجالاً اوسعوا القداس شتماً فشرّفوا اليوم باقامته. رجالاً نبذوا السلطة البابوية فاصبحوا في عهدنا هذا بتلك السلطة متمسّكين ولحقوقها مدافعين. يا للعجب مكسّرو الصور قد نصبوا على الهياكل تماثيل العذراء والقديسين . . . حقًّا ان التغيير والاهتداءات التي جرت في انكلترة ليس لها شبه في العالم المسيحي كله في عصرنا الحاضر »

ولقارئ يسألنا عن الاسباب الجوهرية التي احلّت الكنيسة في الديار الانكليزية عرش الفخار ووطّدت اركان سلطانها في الالباب والافكار فما لنا الاّ ان نُطرفه بما سطّره الكردينال ويسمن في كتاب انفذه الى اساقفة فرنسة سنة ١٨٤٥ قال: « لا يزعمنَّ احدٌ ان هذا النجاح هو فعل ايدٍ بشرية . لا لعمري ان الله وحدَهُ قد اتمّ كل ما تراه اعيننا من المعجزات. فنعمتهُ الالهية وظروف خارقة قادتها العناية باصبعها الالهية هما الوسيلتان اللتان اتخذهما ربّ العالم لإحداث هذه العظائم في كنيستنا . وعليه اني اشهد ان ما من قدرة ولا فطنة او حذاقة او حكمة بشرية تستطيع ان تنسب لذاتها الشرف في نشر ظلال الكنيسة هذا الانتشار في بلادنا . بل ان كل تداخلٍ بشريّ لم يكن الّا ليُثبّط غالباً مجرى هذه الاهتداءات الفائقة المثال »

وقال بعده الكردينال نيومن في اعادة الهيئة الكنسيّة وتجديد نظامها في انكلترة وكان ذلك من انجع الوسائل لتكثير الاهتداءات ورفع منار الديانة في تلك المملكة ما مفادهُ :

« ان رجوع هذه الهيئة وتثبيتها لهو من الامور التي لم تخطر ببال احد وهي عندي لا شكّ الحادثة العظمى في جيلنا الحالي. اقول والحق يقال لو كان قام رجل فتنبأ منذ نصف قرن ان هذه السلسلة الكنسيّة ستتّصل حلقاتُها بعد مضيّ خمسين سنة لكان عُدَّ جاهلاً وفاقد العقل. لان هذا التغيير الكامل كان يقتضي اعجوبة نادرة لم يُؤمل في زماننا حدوثها . . . وهذه الاعجوبة قد تمّت اليوم والحمد لله وقد زال عنّا كل دهش وحيرة . . . قل لي رعاك الله هل لها من سابقٍ في صفحات التاريخ ؟ » (The second spring, Newman)

وقد اثبت صادع شهادتهما الكردينال فون وأنعِمْ به من شاهدٍ عالمٍ باسرار كنيسته واحوال رعاياه فقال: « لم ننل ما نلناه الّا بواسطة الصلاة الحارّة المتواترة والتعبّد

للقربان المقدس. فقد اقمنا شركةً بلغت اعضاؤها خمسمائة كاهن تقدّم كل سنة ٢٣٠٠ قداسٍ لاجل رجوع إنكلترة الى ديانة اجدادها...»

فلا بدع اذا شاهدنا هذه الآيات العجيبة والامثال الغريبة فان العليّ الذي سمح بحكمته الجزيلة لانكلترة ان تقع في اشراك الاصلاح وسوء عقباه قد تعطّف على شعبه وسمع صلواتٍ ما برحت تخترق حجاب السماء منذ ثلاثة اجيال فمدَّ يده القديرة لتشله من وهدة الظلام والشرور. فعسى ان تضرعاته المتواصلة تعجّل ذلك اليوم السعيد الطالع فتتألب من كل فجّ الخراف الضالّة الى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية وتعنو لصوت راعيها الصالح فتتوفر اسباب الخير وتتدفّق عيون البركات في مراعٍ وراءها الجنّة الشهيّة والغبطة السرمديّة... (تمّت)

مقالع مصر ومعادنها

نظر في تركيب ارض مصر الجيولوجيّ للاب بطرس دي ڤراجيل اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٢ً المقالع الحديثة

بعد كلامنا عن مقالع مصر القديمة في ايام الفراعنة ثمّ في عهد اليونان والرومان لا نرى بُدًّا من ذكر المقالع الحديثة التي أُنشئت في أيام الدول التابعة

صارت مصر بعد الرومان في يد ملوك بوزنطية فبقيت تحت سلطتهم ثلاثة قرون الى ان فتحها العرب. وفي هذه المدّة الطويلة تقهقرت احوال مصر فلم يكن لولاتها همّ بالبناء وعليه فلا نجد اثرًا يُذكر لذلك العهد بل تلفت ابنية عديدة استولت عليها يد الخراب لتهامل ذوي الامر في ترميمها

وفي سنة ٦٤٠ دخلت مصر تحت حكم العرب فشيَّد عمرو بن العاص فاتحها مدينة الفسطاط على ضفّة النيل بازاء الاهرام شماليّ منف القديمة امّا موادّ ابنية الفسطاط فالمظنون انّ عمرًا استمدّها من مقالع طرّة

ثم استولى احمد بن طولون على مصر في القرن التاسع للميلاد واليه تُنسب الدولة الطولونيّة ومن آثارهِ البنائيّة مدينة مصر القاهرة بناها شماليّ مصر العتيقة وانشأ فيها

المعاهد والقصور الفخيمة التي تميّزها عن الفسطاط وذلك بسرعة غريبة . وكانت المواد المتّخذة لهذه الابنية اللّبن المجفّف بالشمس وبهِ بُني جامع ابن طولون الشهير . الا انّ العمَلة لم يهملوا الحجر الاصمّ فانّهم فتحوا في جبل المقطّم مقالع اتّخذوا منها حجارًا كثيرة تزين مصر حتى اليوم . ثمّ اتّسعت المدينة وكثرت معاهدها وقصورها فلم يجد البنّاؤون كفايتهم في مقالع المقطّم فعمدوا الى انقاض مدينة منف القديمة وحجارتها العجيبة من الصوّان والرخام وغير ذلك فاتّخذوها لابنيتهم المستحدثة ونحتوها نحتًا محكمًا ونقشوها بالنقوش البديعة على الطراز العربيّ

ونمى حبُّ العرب للبناء مع رسوخ قدمهم في مصر . فأولعوا بالآثر الجليلة والابنية الفسيحة . ولمّا جلس السلطان صلاح الدين الأيوبي على منصّة الملك اهتمّ ببناء القلعة فجعلها فوق مدينة القاهرة كأنّها الدرّة اليتيمة تزين مقبض مروحة هي النيل المنبسط في اسافل مصر وحصّنَ هذه القلعة بسور طوله ١٩٠٠٠ ذراع . وفي عهدهِ توالت الابنية العظمى من مساجد وقصور وحصون منها باللبن المشيَّد بالجصّ ومنها بالحجر الفرني الكلّس . واغضى البُناة عن الصوّان لصعوبة نحتهِ والنفقات الطائلة لنقلهِ . بل ترى المهندسين والصَّنَعة يأنفون من نحت الحجر الكلسي فيعمدون الى الجير والشيد لشغل الطنوف والقرنص والشمّاسات التي يقتضي نحتها في الحجارة زمنًا طويلًا . بيد انّ هذه النقوش لم تصبر على الدهر لقلّة صلابتها فذهب بها الزمان وصارت الى خبر كان

وممّا يجمّل الجوامع في مصر عددٌ لا يُحصى من العواميد بعضها من انواع الرخام العزيز الوجود والصوّان المحبَّب وغير ذلك من الحجارة الكريمة . فانّ في مارستان قلاوون سواري ضخمة من الصوّان الاحمر المعروف في زماننا بالشحم واللحم وكان في جامع عمرو ٣٦٦ عمودًا وكلُّ هذه الاعمدة استُخرجت من ابنية قديمة اجال فيها الخرابُ يدهُ فبقيت هذه الاعمدة مهملةً الى ان استفاد منها العرب . وقد اخبر الاب سيكار اليسوعيّ انهُ وجد في زمانهِ في الاسكندريَّة جوامع كان عمدها اشبه بغابة من الشجر لكثرتها من ذلك الجامع المعروف بالف عمود الذي خرب منذ قريب . ويظهر من فحص هذه الاعمدة انّ نقوشها من الطراز اليونانيّ ترتقي الى عهد البطالسة (١ . وقد دخل قسم كبير من حطام هذه الاعمدة في توثير الطرقات لاسيَّما الطريق المؤدية الى قلعة قايتباي

١) رجع كتاب وصف مصر M^r S^t-Genis: *Description de l'Egypte*, II, ch. 26

في الاسكندرية كما تحقق المهندسون ذلك مؤخرًا

ومن المقالع التي اتخذها العرب بعض مقالع الرخام الابيض والرخام الاسود الذي لا يوجد من جنسها في الابنية السابقة لعهدها وترى مثالًا من هذين الرخامين في باب مارستان قلاوون المبني سنة ١٢٨٥ م وهو اثر جليل يشهد على براعة بنائه

ثم دخلت مصر بعد ذلك في اطوار مختلفة فترى منذ ذلك العهد كثيرًا من ابنيتها القديمة متداعية خربة وكان الفلاحون يتخذون قطع الرخام القديم فيوقدونها ويجعلونها كلسًا ولعله لم يبقَ شيء من آثار السلف لولا ان الله اقام رجالًا من ذوي الهمة العالية الذين اعادوا لمصر بهاءها القديم

فمنهم صاحب الدولة الخديوي محمد علي باشا فانه استدعى قومًا من المهندسين البلديين والاجانب فعهد اليهم بناء الحصون والثكنات والمسالح التي غيّرت هيئة الاسكندرية وجعلتها من حواضر المدن. الا ان اكثر هذه الابنية شيدت بحجر بلدي لين اثّر فيه هواء البحر ففتته. وقد نجا من الخراب قصر راس التين المبني بهذا الحجر لانه طُلي بالجير ويُجدّد طلاؤه من وقت الى آخر

ومن ابنية محمد علي باشا الفاخرة في مصر قصر شبرا وترعة النيل. وافخر منها المسجد الجامع المنسوب اليه باشر في بنائه سنة ١٨٢٤ وانجزه سنة ١٨٥٧ وكان المهندس روميًا يدعى يوسف بشنه شيّد هذا الجامع على مثال جامع نوري عثمانية في الاستانة العلية. وقد فرش جدرانه داخلًا وخارجًا بالرخام الابيض الشفّاف وبحجر كلسي ذي عروق صفراء عسلية بديعة اجتلبه من مقالع بني سويف على مسافة ١٢٤ كيلو مترًا جنوبي القاهرة في خلف جبل الرخام

وفي عهد خلفاء محمد علي باشا ترى مصر راقية في معارج الحضارة كحواضر اوربة في هندستها وابنيتها اما الحجارة اللازمة لهذه الاعمال فانها تستخرج في الغالب عن كثب لسرعة اصحابها. فمقالع الاسكندرية جنوبي المدينة عند جهة مكس ترى العملة فيها يشتغلون بنشاط وحجارتها كلسية كاشفة اللون ترتقي الى الطور الجيولوجي الثالث المدعو بليوسان (pliocène) وبها يُصطنع رَصف الاسكندرية الجديد حاليًا وابنية الخاصة ومنها اتخذت موادّ ابنية بورت سعيد. وهذا الحجر صلب في الماء ولذلك يصلح للابنية المائية في المرافئ اما في الهواء فتعمل فيه ريح البحر الملحية فتفتته ما لم يُطلَ بالشيد القوي

وربَّما اتُخذت منهُ قطع ضخمة تنقلها الجال او السكك الحديديَّة او السُفُن المسطحة

امَّا القاهرة فابنيتها الحالية تُتَّخذ من حجارة المقطَّم الحُواريَّة المعروفة بايوسين (éocène) بها تبنى الاحياء الجديدة في القاهرة وحلوان. ومن الحجارة المستعملة في مصر حجارة جبل الاحمر بقرب العباسيَّة تُنزع من صخور جاسية مركَّبة من الرمل والحصى والخشب المُتحجر ولونها ضارب الى الصفرة او الشقرة يدخلها اوكسيد الحديد وبها تُفرش طرق القاهرة وتنقلها سكك حديديَّة جارية على ضفَّة النيل

وكذلك يستثمر اهل مصر حالًا مقالع مصارة وطرَّة ويستعملون حجارتها لتبليط البيوت. الَّا انَّهم لا يجرون على طريقة قدماء المصريين بحفر اعماق الجبل حيث الحجارة الصلبة المفضَّلة وانَّما يكتفون بالحجارة المشكوفة على ظهر الجبل يقطعونها ثم ينقلونها على عجلات او على بغال وجمال الى النيل

ولا نعرف مقلعًا آخر مهمًّا غير ذلك. وانَّما يستجلب اصحاب الثروة شيئًا كثيرًا من الرخام الابيض لزينة بيوتهم ودرجها من ايطالية وتريسته وجزائر اليونان ولا يكلّف نقل هذا الرخام شيئًا كثيرًا لانَّ السفن تتَّخذهُ كصابورة تثقل به قعرها

على انَّ الابنية الحديثة لا يمرُّ عليها الزمن الطويل حتى يستولي عليها الخراب وشتَّان بينها وبين ابنية قدماء المصريين التي كانت تسخر من الدهر بصلابتها وثباتها

٢ المعادن المصريَّة

ان المصريين لم يُحسنوا نحت الحجارة فقط بل اتَّخذوا ايضًا المعادن فصاغوها واستمدُّوا منها ادواتهم وزيَّنوا بها ابنيتهم واثاثهم واستعملوها للمصاغات والحليّ. على ان المصريين تأخروا في ذلك عن غيرهم من الشعوب القديمة فاذا قابلنا بين آثار قدماء اهل غالية وجرمانية نجدهم يكثرون من استعمال الحديد والنحاس والشَّبه بينا كانت قبائل النيل لا تتَّخذ هذه المعادن الَّا نادرًا. ولنا في ذلك شاهد صادق في الابنية المصريَّة القديمة فانَّ حجارتها الضخمة تُربط ببعضها بقطع من خشب اللبخ بدلًا من كلاليب الحديد. وذلك دليل على قلَّة هذا المعدن. وكانوا اذا اتَّخذوا الحديد لهذه الغاية يُسرع الناس الى سرقتها لندرة هذا المعدن عندهم

وكان المصريون الاقدمون يقسمون المعادن الى قسمين المعادن الثمينة اي الجواهر كالذهب والفضَّة ثم المعادن المبتذلة كالنحاس والرصاص والحديد ثم اضافوا اليها بعد ذلك

القصدير. فخصّصوا الحديد بالاسلحة وادوات العمل كالمناحت والفؤوس والسكاكين والمناشير. واتّخذوا الرصاص لمزاليج ابواب الهياكل ولتركيب بعض التماثيل. امّا النحاس فلم يستعملوهُ صرفًا لرخاوتهِ. فمزجوهُ بالقصدير على نِسَب مختلفة ومنهُ الفلزّ الذي بالغوا في استعمالهِ وربّما مزجوا النحاس بالفضة او الذهب فاصطنعوا بمركّبهما اعمالًا صناعيّة دقيقة. وقد اتّخذ صاغة المصريين هذا التركيب نفسهُ ليطلوا بهِ التماثيل من الحجر او الشبه او الخشب ويصطنعوا التمائم والحليّ التي زانوا بها الاجسام المحنطة وهي تذهل العقول بدقّة صنعها. وكانوا ايضًا يمزجون الذهب بالفضة ويدعون المزيج عسيمًا (âsimou) واذا بلغت نسبة الفضّة عشرين في المئة سمّي إلكتروم (electrum) وهذا المعدن اصفر فاقع رائق الصفرة

هذا ونكرّر قولنا السابق ان المعادن كانت قليلة في مصر وكان اكثرها يُستجلب من الخارج فانّ الفضة كانت تأتيها من آسية على هيئة حلقات او سبائك ذات ثقل معلوم. وكان الذهب ومركّباتهُ يُقدم بهِ الفينيقيون من الشام او يشرى من السودان. ومن غريب الامور انّ اغلب آثار الفضة والذهب في مصر ترتقي الى الدولتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة اللتين بسطتا ولايتهما على الاقطار الاسيويّة

ومن البلاد التي اغنت مصر بذهبها بلاد النوبة. وكانت هناك معادن تُرى الى عهدنا وآثارها واسرابها وذلك في وادي علاّكي غربيّ جبل إلبة. وقد استثمر هذه المعادن ملوك عديدون كالفراعنة والبطالسة والقياصرة الى زمن الخلفاء في القرن الثاني عشر. وكان الاقدمون اقاموا مخافر في تلك البراري لحراسة العملة وحفروا لهم صهاريج يُستدلّ عليها بعلامتين منقورتين في الصخور وهما الدائرة ومن تحتها صليب. الّا انهُ لم يُكتشف هناك حتى الآن كتابة تُذكر اللهمّ الّا نصبٌ وُجد في قوبان بين اسوان وكورسكو وبعض خطوط رُسمت على هيكل رادسيّة على الطريق الذاهبة من النيل الى معادن الذهب في اكيتو وقطعة من البرديّ مكتوبة على عهد رعمسيس الثاني تُحفظ اليوم في متحف تورين

وقد عدّن ايضًا قدماء المصريين ثم اليونان والرومان بعض المعادن الذهبيّة في جبال البحر الاحمر وفي زبّارة قريبًا من قُصير في جبل الزمرّد وكذلك في جبل إلبة بجوار برنيقة الّا انّ هذه المعادن كانت قليلة الذهب صعبة التعدين مختلطة بعناصر شتى

وكانت الفضة في مصر اقلّ من الذهب. وجلّ ما وجد من معادنها المناجم المنسوبة الى عمرو بن العاص على مسير يومين من قُصير اكتشف بقاياها فيغاري بك (Figari bey) وكانت تلك الفضة ممزوجة بالكبريت والزئبق المائع

ولم يكن المصريون اغنى بالرصاص والنحاس والحديد منهم بالذهب والفضة. فعدُّوا في جبل الكحل قريباً من القصير معدناً من الرصاص كان قليل العائدة. وفي جبل بُرام جنوبيّ شرقيّ اسوان على بعد ثماني ساعات منها استخرجوا النحاس وكان هذا المعدن جيّدًا الا انهُ قليل العمق. وكانوا منذ ايّام الدولة الثانية يعدّنون معدناً من النحاس في شبه جزيرة سينا يظهر من بقاياهُ انهُ كان كثير الجدوى. امّا الحديد فاستخرجوا منهُ شيئاً زهيدًا في جبل زيت على ساحل بحر القلزم وكذلك القصدير فقد عدَّنوهُ في محلَّين آخرين نجهل موقعهما الّا انّ ذلك القصدير كان مشوبًا بالرصاص والكوارتز

اما طريقتهم في استخلاص هذه المعادن من اخلاطها فلم يبلغنا منها الّا النزر القليل. فبين صور بني حسن صورة تمثل تصفية الذهب وتذويبهُ. وفي الاقصر تُرى صورة صانع متربّع امام بوتقتهِ وبيدهِ ملقط ومنفاخ

وقد احسن المصريون استحضار بعض الالوان الجميلة كانوا يلوّنون بها الآنية من الخزف والزجاج يأخذ حسنُها بمجامع القلوب ويقضي اهل زماننا من منظرها العجب

ومن المعادن الثمينة التي رزق الله بها مصر معادن الزمرُّد فكان منهُ معدن في زبّارة على مسافة اربعة اميال منها عند بندر صُغَير. الّا ان حجارتها ليست من الجنس الفاخر. واشتهر من هذا المعدن معدن جزيرة الزمرُّد على ٣٠ ميلًا من الساحل بازاء برنيقة. وهي جزيرة بركانيَّة وجد فيها القدماء الزبرجد (béryl) والزمرُّد فعدَّنوهما مدَّة قرون متواصلة في ايّام الفراعنة وفي عهد البطالسة كما يُستدل عليهِ من الآثار الباقية حتى يومنا وقد ذكر التيفاشي في كتابهِ جواهر المعادن قال:

« انّ معدنهُ في التخوم بين بلاد مصر والسودان في جبل خلف اسوان تُحفر فيهِ معادن فيخرج منهُ الزمرُّد قِطَعًا واوّل ما يخرج منهُ شيء يسمُّونهُ الطلق (mica) وهي حجارة سود اذا حُمي عليها النار خرجت مرقشيتا ذهبي ثمَّ يُحفر فيوجد تراب هش احمر يكون فيهِ الزمرُّد »

وكان الاقدمون يتّخذون الزمرُّد للحليّ ويجعلون فصوصهُ في الخواتم ويزيّنون بها جثث الموتى. واتّخذهُ العرب لترصيع اسلحتهم وتحلية مصاغاتهم

وقد وجد الاثريون في مدافن المصريين كميَّة وافرة من الحجارة الكريمة كالياقوت

والمرجان واليشب وغير ذلك من جواهر المعادن التي كان المصريون يجلبونها من جزيرة العرب

امَّا اليوم فقد عدل المصريون عن تعدين المعادن ووجَّهوا همَّتهم الى الزراعة ونعم ما يفعلون وفي الزراعة من الكنوز ما يغنيهم عن المعادن والحجارة الكريمة

مطبوعات شرقية جديدة

Vases antiques du Louvre
par E. Pottier; 2 *séries*, 1897-1901, Hachette, Parie

الآنية القديمة في متحف اللوفر

انَّ في متحف اللوفر مجموعاً نادراً من الآنية القديمة التي اصطنعها اليونان فاكتُشفت في قلب الارض بعد ان اكل الدهر عليها وشرب. فهذه الآثار البديعة صرفت عليها الدولة الفرنسوية مبالغ عظيمة فحصلت عليها وزانت بها متحف عاديّاتها حيث تراها معروضة لاعين الزوَّار. الَّا انَّ في وصف هذه الآنية وتعريف خواصها من الفوائد ما يزيد في شأنها وذلك ما باشرهُ الاثريُّ الشهير ا. پوتيار من علماء فرنسة المعدودين منذ سنة ١٨٩٧ وقد ظهر من عمله اقسامٌ اطَّلعنا عليها فوجدنا اهلاً بسمعة مؤلفها ولا بدع فان علماء العاديّات في نواحي اوربَّة اجمعوا على انَّ هذا الكتاب من اكمل ما وضعهُ الاثريون في هذه المادَّة فلا يستغني عن مراجعته كلُّ من اراد الخوض في فنّ الخزفيَّات القديمة. وقد اجتهد هاشت الطبَّاع الشهير في اتقان صور الكتاب كي تمثل كل خواص الآنية الموصوفة من حيث الدقَّة والالوان فلا يجد رائيها فرقاً بينها وبين الاصل الذي تمثلهُ

ف. جوليان

أسئلة وأجوبة

س سأل حضرة الشماس بوليكربس قطّان من رومية عن بعض ابيات وردت في مجاني الادب (الجزء الخامس ص ٢١١) اشكل عليهِ معناها

رواية بعض ابيات وردت في مجاني الادب

ج هذه الابيات نقلناها مصحَّحة عن الطبعة المصريَّة من زهر الآداب للحصري ثمَّ وجدناها في كتاب مخطوط فاصلحناها في الطبعات الاخيرة ودونك الرواية الصحيحة (والابيات في وصف فرس):

لهُ زهوُ طاووسٍ وخطرُ حمامةٍ وتدويمُ بازٍ وانقضاضُ عُقابِ

وَوَثْبُ ظَبْيٍ وانجفالُ نعامةٍ واهذابُ سِيدٍ وانسيابُ حُبابِ
وصولةُ ضرغامٍ ورَوْغُ ثُمالةٍ ولحظُ قطاميٍ وحَذَرُ غُرابِ
وَجَدْلُ عِنانٍ وانثناء ذُؤالةٍ ووَقْد ضِرامٍ وانصياعُ شِهابِ
وهَيْجُ اخي شَوْلٍ وتدفيقُ جَيْأَلٍ وايماضُ برقٍ والتماعُ سرابِ
واعصافُ ريحٍ واهتزازُ يراعةٍ ودَرَّةُ نوءٍ وانجيابُ سحابِ

فالذؤالة الذئب. والجيأل الضبع وتدفيقها وثبها في سرعة كانَّما تتدفَّق في سيرها ومنها الدفقَّة للفرس الكريمة التي تتدفَّق في سيرها. ويجوز تدفيف بالفاء. واليراعة القصبة ودرَّة النوء انصبابهُ ل. ش

تصحيح بعض اغلاط طبعية وقعت في المشرق السنة الخامسة

الصفحة ٧ س ٢٥ « اسقف مرا » والصواب « مورة او ميرة » — س ٢٨ « من πολύθεος » والصواب « βουλευτής » اي المشير = ٤٨ س ٢٥ « لأقتفى » ص « لاقْتَفى » = ٢٨٠ س ٧ و ٨ « رائق المضَبَّ . . . كريم الحاسّ » وفي نسخة بغداد . « رائق المنصب . . . كريم النحاس » — س ١١ سليل جزيل الرفد » ص « سليل المجد جزيل الرفد » — ١٢ « طاهر الرياش . . . خصيب المرحل » ويروى « ظاهر الرياش . . . خصيب الرحل » — ١٩ و ٢٠ « وظهرها وشاها . . . وضرام حين اللقاء » ويروى « ظهرها وسَناها . . . وضرامُ حرِّ اللقاء » = ٣٧٩ س ١٥ « عشر مراصد » ص « عشرة مراصد » = ٤٧٨ س ١٩ « مُمُمْطُا وِمُمُمْا » ص « وِمُمُمْا » = ٤٧٩ س ٣٧ « ابو عقل » ص « ابو عضـل » = ٥٢٤ س ١٢ و ٥٢٥ س ٢ « الفروسنيكيَّة . . . غريزنسكيَّة » ص « اللغة الكرجية » = ٥٣٥ س ١٠ « اصيبْ بها » ص « اصيب بهِ » = ٥٣٧ س ١٢ « بكون » ص « كون » = ٥٣٩ س ٩ « فلوا » ص « فلو » = ٥٨٠ س ٢١ « روساءم » ص « وروساوءم » = ٦١٤ س ٢٤ « اياس الشويز » ص « الشويتر » = ٦٧٩ س ١٦ « اردانِ » ص « اردوان » = ٦٨٠ س ٢٢ « غَنِيمَتَها » ص « غَنِيمَها » = ٦٨١ س ٤ « مسحة » ص « فسحة » = ٧٠٤ س ٩ « ٢٨ شباط » ص « ٢٤ شبـاط » = ٧٠٦ س ٢٩ « ٢٩ نيسان » ص « ٢٨ نيسان » = ٧١٨ س ٩ « الخوري بولس حويس » ص « ميخائيل » = ٧٢٢ س ١ « بارْسفر » ص « بار سمر » = ٧٢٥ س ٢٢ « ونجمِهِ المريَّة » ص « ونجم المريَّة » = ٧٤٦ س ٣٠ « لمّا سبق ص ٢٧٨ » ص « لما سبق ٧٤٥:٤ » = ٧٧٣ س ٥ « الى عين زحلتا » ص « الى زحلتا » = ٧٨١ س ٩ « بحيث الواقف » ص « بحيث أن الواقف » = ٧٨٣ س ٨ و ٩ « قيد تكبُّد . . . قبو » ص « قبل تكبُّد . . . قبر » = ٨٠١ س ٢ « المذكرين » ص « المذكورين » — ٢١ « تعقبهُ » ص « تعقُّبهُ » = ٨٠٤ س ١٠ « الايثوريين » ص « الحثيين » = ٨٠٧ س ١٤ « الهًا يونانيًا » ص « رومانيًا » = ٨٠٩ س ٢٢ « فاب » ص « فالاب » = ٨١٢ س ٢٠ « كُتبة » ص « كُتبت » = ٨١٦ س ٢٩ « يوحنًا الشويتر » هذا التصحيح غلط = ٨٣٨ س ١٠ « غَاني » ص « غَانيٌ » = ٨٤٠ س ٢ « في جميع » ص « في جمع » = ٨٤٣ س ٢٥ « بمقامات الجد » المراد جدّ الشيخ شكري الالوسي وهو « الشيخ محمود الالوسي » = ٩٢٥ س ١٢ « عبد الحليم » ص « عبد العليم » = ١٠٤٥ س ١١ « تأخذ اسنانهُ » والصواب ان هذه المناشير ليست مسنَّنة = ١٠٨٨ س ١١ و ٢١ « اطلب الصفحة ١٠٨٧ » ص « اطلب الصفحة ١٠٩٠ » = ١٠٩٣ س ٢ « القنمعقود » ص « المنْعقود »